أهــل الحل والعقد؛ ولم تكن وصية أبــى بكر ولا وصية عمر إلا مجرد إبداء رأى شخصى أو مجرد ترشيح كما تقدم بيان ذلك.

* * *

٣

حق الأمة فى مراقبة الحاكم ومحاسبته على أعماله

تقرر فى الإســلام حق الأمة فى مراقبة الحاكم ومحاســبته على أعماله بأقوال الخلفاء الراشدين أنفسهم وأعمالهم وإجماع المســلمين فى ذلك العهد على عدّ هذا الحق من أهم حقوقهم، وحرصهم على التمسك به، والتصرف فى حدود ما يبيحه لهم.

وفى ذلك يقول أبو بكر الصديق d فى الكلمة التى ألقاها عقــب مبايعته بالخلافــة: «أما بعد فقد وليت عليكم ولســت بخيركــم.. فإن رأيتمونى على حــق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسدّدونى، أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فــلا طاعة لى عليكم». ويقول فــى كلمة أخرى: «إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعونى، وإن زغت فقومونى».

ففى هاتين الكلمتين تسليم صريح بمبدأ مسؤليته على أعماله أمام الأمة وأن لها الحق فى مراقبته ومحاسبته على ما يبرمه فى شـئون الحكم، بل تسليم صريح بحقها فى ألا تستجيب له وتعمل على تقويمه وتسديده إذا انحرف عن الجادة.

ويقـول عمر بن الخطاب d : «إنـه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فـى معصية الله. إننى أعقل الحق من نفسـى، وأتقدم وأبيّن لكم أمرى، فإنما أنا رجل منكم، وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيـه». وحينما قال d فى كلمة أخرى: «أيها الناس من رأى فـىَّ اعوجاجًا فليقومّه»، تقدم إليـه رجل وقال: «لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوَّمناه بسيوفنا»، فرد عمر قائلا: «الحمد لله أن كان فى أمة عمر من يقوِّم اعوجاج عمر بالسيف».

وحينما أخذت طائفة من المسلمين على عثمان بن عفان d بعض أخطاء فى تصريفه لشئون الحكم وإسناد وظائفه، تظاهرت عليه جموع منهم لمحاسبته على أعماله، فأذعن رضوان الله تعالى عليـه لرغبتهم، ولم ينكر عليهم هذا الحق، وأبدى اسـتعدادًا كريمًا لإصلاح ما عسـى أن يكون قـد أخطأه التوفيق فى إبرامه. وفـى هذا يقول: «إننى أتوب وأنزع، ولا أعود لشـىء مما عابه علىّ المسلمون. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من زل فليتب

ومــن أخطأ فليتب، ولا يتمادى فــى الهلكة، فإن من تمادى فى الجــور كان أبعد من الطريق... فأنا أول من اتعظ. أســتغفر الله مما فعلت وأتوب إليه. فإذا نزلت من منبرى فليأتنى أشــرافكم فليرونى رأيهم. فوالله لئن ردنى الحق عبدًا لأذلن ذل العبيد».

ففى هذا كله دليل واضح على أن حق الأمة فى مراقبة الحاكم ومحاسبته على أعماله كان حينئذ أمراً مقرراً فى الإسلام ومفروغًا منه، وأن المسلمين كانوا شديدى الحرص على التمسك به، وأن الخلفاء الراشدين أنفســهم لم يعترفوا به ويذعنوا فحسب، بل كانوا كذلك يغتبطون كل الاغتباط بممارســة الأمة له، حتى لو انتهت هذه الممارسة إلى حد الغلو والإفراط.

٤

مبدأ الشورى فى شئون السياسة والرجوع إلى الأمة فى الأمور الهامة

يحث الإســلام على الشورى فى مهام الأمور على الإطلاق، وفى قمتها، من غير شــك، مهام الأمور فى شــئون السياســة والحكم، وينهى عن الاســتبداد فيها بالرأى، فيأمر الله تعالى